ولد امرؤ القيس فى بلاد بنى أسد بنجد فى أوائل القرن السادس ، وليس بين أيدينا شئ كثير عن نشأته الأولى إلا طائفة قليلة من الروايات دخلتها الأسطورة من بعض جوانبها ، وهى روايات تصوره فتى من أبناء الأرستقراطية العربية ، من أمراء الأسرة الحاكمة لهذه المنطقة فى هذا التاريخ ، قضى شبابا لاهيا متهتكاً يطارد النساء ، ويشرب الخمر ، ويخرج للصيد ، ويأوى إلى بطانة سوء من فتيان وقيان، وينتشد فى ذلك الشعر يصوره به حياته، وما تنطوى عليه من خلاعة ومجون ، حتى اضطر أبوه إلى طرده ، فانطلق يتنقل بين أحياء العرب ، ومن حوله أخلاط من خلعاء القبائل وشذاذ الأحياء وصعاليك العرب يمارسون حياة خليعة ماجنة مستهترة ، يشربون الخمر ، ويخرجون للصيد وتغنيهم القيان ، وتلتف حولهم بنات الهوى ، وينتقلون من مكان إلى مكان خلف غدران المياه ورياض الصحراء ، وهى نفس الحياة التى كان يحياها من قبل مع اندفاع طائش خلفها زاد منه بعده عن أبيه وتخلصه من رقابته ، وإحساسه بالحرية المطلقة التى لا تحدها حدود ولا تقيدها قيود .

فى هذه المرحلة من حياته قتل أبوه الملك ، ويقال أنه كان فى ذلك الوقت فى دمون من بلاد اليمن ، وأن نعى أبيه بلغه وهو فى مجلس شراب فقال : ضيعنى صغيراً ، وحملنى دمه كبيراً ، لا صحو اليوم ولا سكر غدا ، اليوم خمر ، وغدا أمر ، ثم أنشد :

خليلىَّ لافى اليوم مصحى لشارب ولا فى غد إذ ذاك ماكان يشرب.

ثم شرب سبعاً ، حتى إذا ماصحا آلى على نفسه ألا يأكل لحما ولايشرب خمراً ولا يدهن بطيب ولا يقرب النساء حتى يثأر لأبيه ، ولكن هذا الخبر - فى أغلب الظن - غير صحيح ، ويرجع الشك فيه أنه من رواية ابن الكلبى ، وهو راوية متهم ، وربما كان الصحيح ما يرويه الهيثم بن عدى من أن امرأ القيس كان موجودا مع أبيه عند مقتله ، وأنه شهد المعركة التى دارت بين كندة وبنى أسد ، وأنه فر منها بعد هزيمة كندة وقتل أبيه على فرس له شقراء ، ويؤكد